الفشل وأسبابه في عالمنا

إنني أخشى أن يكون دور العرب في مسار التقنية العالمية المعاصرة دور المتفرج الواقف على قارعة الطريق.

يرصد ببصره فقط مسار القافلة فتبهره وهي تسير بعرباتها المنتظمة ليفاجأ بعد انجلاء الغبار أن المراكب قد تجاوزت حدود بصره، وأن مراكبه بإمكاناتها المتواضعة ومع المسافة المتباعدة. لايمكنها اللحاق بالركب.

obeikandl.com

obeikandl.com

فشل الدرس العربي .

بعد استعراض لواقع وإمكانات العالم العربي الراهنة يمكن طرح بعض التساؤلات

لماذا هذا ا لتراجع المستمر ، وتلك ا لهزيمة ا لنفسية التي تحل با لأمة العربية ، التي تمتلك من وسائل القوة والتمكين المادي والمعنوي ما يؤهلها للمراكز العليا في المحفل الدولي؟

إن حرب المقاطعة النفطية التي اعتمدت كوسيلة للدفاع في وجه القوى الكبرى عام ١٩٧٣ ـ مثلاً ـ قد هزت العالم قاطبة من أقصاه لأقصاه .

جعلت خبراء الطاقة يجندون إمكاناتهم وقدراتهم ووسائلهم لوقف تأثيرها ، ويوظفون الخيال ويطرقون المستحيل لإيجاد البدائل .

لقد أخرجت المواطن في العالم الصناعي ليقف باصطفاف أمام مراكز تمويل الوقود التي التزمت بالتقتير لحد الرمق .

لماذا هذا التواضع والاختزال الذي حل بالقوة العربية ، وجعلها مسلوبةالإرادة والتأثير فضعفت شوكتها ، وذبلت هيبتها؟

إنكفأت حدتها على بعضها البعض في مناسبات متعددة كلما شعرت بضعفها أمام العدو الخارجي وغطرسته ، تخرب قواتها وقدراتها وخبراتها المكتسبة

بأيديها، تتوارى عن العدو الحقيقي، وتسلط اتهاماتها على مراكز النضج فيها[1] بدل أن تؤآزر وتشارك في المسار، وتستثمرالعطاء وتوجه الفائض من الإمكانات.

إن بعضا من الحقيقة والجواب يكمن في رأي أحد أبناء الخليج العربي. حيث يرى الدكتور محمد جابر الأنصاري (أن ما يحل بالأمة العربية من تراجعات، ليس كوارث لاتفسير لها، وليس عجزاً ذاتياً لاحل له أو تقصيراً خلقياً، أو ما أشبه مما يرد في البكائيات المنتشرة هذه الأيام، إنماهو نتيجة طبيعية منطقية لتكوين تاريخي معين، ورثته المجتمعات العربية قروناً سلفت، كانعدام روح التماسك بين الأفراد والجماعات في الوطن العربي ككل، وغياب سوق قومية موحدة، ونظام تربوي متجانس، وانعدام نظام موحد للمواصلات بمختلف أشكالها المادية والمعنوية، وما إلى ذلك من عوامل لابد منها لتماسك الأمة في وجه التحديات. وأهم من ذلك. تحدي استيعاب الحضارة الحديثة بكل مشكلاتها، لالرد العدوان الخارجي فقط)[2].

---

(١) إن كارثة حرب الخليج التي قامت في شهر آب أغسطس من عام ١٩٩٠ والتي استهدفت أرض الكويت وضرب النهضة الحضارية في أقطار الخليج بدعوى حجج ومبررات واهية غير منطقية، أسفرت عن تخريب بعض منجزات التنمية في الكويت وتبديد للإمكانات في المنطقة. مثال حيّ على ذلك، تلك المنطقة التي حققت نهضة مشرفة، ووقفت مساندة للأقطار العربية المحدودة الموارد والإمكانات.

(٢) د / محمد جابر الأنصاري العالم والعرب مرجع سابق ص ٨٦.

على أنْ الأمر الذي يجب الاقتناع به أولاً ثم الإلتزام به قبل الإنطلاقة، أن هذا التأخر الذي نعيشه ليس حتمياً أو أبدياً لاانفكاك منه، بل هو مرض كأي الأمراض التي تصيب الأعضاء التي يمكن الشفاء منها إذا أُحسن التشخيص والعلاج.

فالتجارب التي رصدت لمسار أُمم مختلفة تؤيد وتؤكد ذلك، وما تجربة اليابان منا ببعيد.

(فالواقع أن إطالة التأمل في مسار القوة الشرقية الجديدة ـ مثلاً ـ يعطينا في أوضاعنا العربية الراهنة نماذج صحية لكيفية نهضة الأُمم وصمودها وعملها وإنتاجها، ويقدم لنا دليلاً ينقض كل مانعانيه من إحباط ويأس.. دليلاً حياً تحت ضوء الشمس المشرقة على أن حياة الأمم ليست كلها تمزقاً وهدماً وعقماً وإحباطا..وأنه يمكن أن تنهض أمم شرقية متخلفة وتلحق بركب التقدم، بل وتتسلم قيادته)[1].

إن أول العلاج والإصلاح. رصد الأسباب التي أدت الى ذلك الوضع. بصدق وموضوعية وجرأة، ومن ثم محاولة الخروج من المأزق.

---

(١) د / محمد الأنصاري العرب والعالم سنة ٢ ... مرجع سابق ص ٢٨

أسباب الفشل.

لن نستطيع في هذا الحيز المحدد، والعرض الموجز. الوقوف على أسباب الفشل في مسار أمتنا العربية، وتقصي جميع تلك الأسباب، فهي متشابكة ومتعددة، تتطلب الرصد الدقيق. وتتبع الماضي ووقائعه وقضاياه. والحاضر وسماته وظروفه.

ذلك أن من العوامل مايرتبط بطبيعة المواطن وأسلوب معيشته وتفاعله مع مايحيط به، وأخرى خارج قدرته وتأثيره.

في هذا العرض سنقف عند أهم الأسباب، من ذلك:

أ- البعد عن المنهج الإلهي الحق.

عبارة خالدة أطلقها أحد رجال التاريخ الإسلامي المشهورين، الذين نهلوا من منبع الرسالة المحمدية الصافية عن قرب. بعد رحلة عناء سلكها، واستكشاف وتقص لمسار الحق.

(لقد أعزنا الله بالإسلام، فإذا ذهبنا نلتمس العزة في غيره ذللنا)[1]

---

(١) قال ذلك الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم.أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يوم لقي أحد أمراء الروم عند دخوله بيت المقدس فاتحا. وأشار عليه بعض الصحابة بتغيير دابته وملابسه استعدادا للمقابلة، فرفض ذلك أمير المؤمنين رضي الله عنه وقال كلمته المشهوره.

تلك العبارة لاتزال خالدة في لفظها ، صادقة ومؤثرة في مؤداها ، فالأمة العربية - التي هي جزء من العالم الإسلامي - لن يكون لها حضور فعّال وتأثير ملموس مع غياب التطبيق الصحيح للإ سلام ومفاهيمه في جميع شؤونها وقضاياها .

إن الاقتصاد العربي بدون التأصيل والتنظيم الإسلامي سيبقى هشا وضعيفا لايستطيع المواجهة والمنافسة إذا ا قتصر على النظم المعاصرة المنافية لمعتقده.

والأمن الذي هو واحة الابداع والرخاء . بدون مبادئ الإسلام وشرائعه وأحكامه سيبقى مختلاً ومهزوزا .

بل إن موجة التصنيع والتنمية عامة بدون التوجه الإسلامي. ستفتقر جميعها للضمير الحي الملتزم والمتفاني في الخدمة والأداء .

وباختصار : بدون الهويه الإسلامية المنبثقة من توجيه الله وشرعه. فإن رسالة الإنسان العربي ستفتقر للمصداقية والتفاني والإخلاص.

يقول أحد المفكرين العرب إن (الإسلام كان أساس رفعة العرب ورقيهم الحضاري، فإذا ضعف هذا ضعف العرب وانحطوا ، وهكذا فقد استهدفت المؤامرات العرب كجماعة دينية وكأمة واتسع نطاقها لتشمل جميع العصور والمراحل التاريخية. وهذا الاستهداف منبعه بالذات هذا التفرد التاريخي والتعالي القومي من

كون العرب قومية متميزة ارتبط تميزها بالدعوة إلى دين سماوي ذي رسالة خالدة أخلاقية تمدينية)[1]

إن مصيبة الأقطار العربية. التزامها بالتنظير والتنظيم، واعتمادها الاقتباس والتضمين، بعيداً عن منهج التشريع الإسلامي، وعدم معايشة هذا الدين واقعا عمليا ومنهجاً جوهرياً أدى ذلك إلى ضعف النظرة إلى الحياة، وقصور في فقه الواقع المنظم لها.

ب ـ أسلوب التعامل مع الأفكار والإيديولوجيات.

إن أمة لا تقيم للفكر وزناً واعتباراً هي أمة تفتقر للحياة الهانئة السعيدة وسماتها، فلاحياة بدون توجه فكري مستقل يصقل العقول وينير الطريق ويحدد الهدف.

ذلك أن الفكر هو القطب الموجّه لمسار الأمة وتطلعاتها، وبمقدار رسوخه واتزانه، وقدرته على الاستيعاب والتجديد ـ وفق الضوابط السليمة ـ يكون مستوى الأمة ومكانتها.

والعالم العربي. ربما بسبب موقعه الاستراتيجي ـ كما سبق ـ وإحاطة الممالك الكبرى ببعض أراضيه عبر العصور وحتى وقتنا الحاضر.

---

(١) خلدون حسن النقيب ـ العقلية التآمرية عند العرب ـ مجلة العلوم الاجتماعية ـ جامعة الكويت العدد الرابع المجلد الثاني عشر ١٩٨٤ ص١٧٢

وربما بسبب خضوعه للحكم العثماني ردحا من الزمن[1] ـ بعد فترة خمول وذبول سبقت ـ وسلب لإرادته السياسية والإدارية، وحرمانه من الاستقلال والانفتاح.

ثم وقوعه ـ بعد تخلصه من الاستيلاء العثماني ـ في شبك الهيمنة والاستعمار الغربي الجائر الذي جزأ اراضيه وجمّد طاقات أبنائه الإبداعية، وسلب معالم شخصيته قبل أن يسلب ثرواته الطبيعية الغنية.

ربّما بسبب ذلك وغيره من الأسباب الأخرى، عصفت بأرض الوطن العربي موجات من المذاهب الفكرية والإ يديولوجية متعددة، لقيت تلك الأفكار قبولاً وأنصارا من البعض، نتيجة الضعف وعدم القدرة على استقلالية التفكير.

على أن ذلك لم يمنع قيام بعض الدعوات التحررية المتفرقة في أنحاء العالم الإسلامي، والتي اتكأت على فلسفة أصيلة مستقلة مرتبطة با لهوية الوطنية

---

(١) بدأ الحكم العثماني بالسيطرة على أقطار العالم العربي مع بداية القرن السادس عشر الميلادي، أي حوالي عام ١٥١٧. باستيلاء السلطان سليم الأول على الشام ومصر. ولم يقترب ذلك القرن من نهايته حيث تم الاستيلاء على جميع الأقطار العربية في المشرق والمغرب ومما سهل مهمة الاستيلاء على الممالك العربية الإسلامية وعدم خروج تلك الممالك عليه وعدم مقاومته. أن الدولة العثمانية قد أعلنت حمايتها ووصايتها للدول الإسلامية ووقوفها في وجه الدعوات التنصيرية التبشيرية. فدخلت في حروب عديدة مع البرتغاليين. وصد هجماتهم على الإسلام، ولكن مما يؤخذ على الحكم العثماني. إضعافه للغة العربية، وإهماله للجوانب الفكرية. وعدم تطوير النظام التعليمي وعدم الأخذبالنظم الإدارية الحديثة.

ومستمدة منهجها من تيار الدين الإسلامي، ومقتبسة من النظم الأخرى الجوانب الكمالية الحديثة فقط.

لكن المذاهب والشعارات الدخيلة التي ذكرت آنفاً، و التي راجت بالوطن العربي قد تأصل لها مناهج، ووجد لها أنصار بحسن أوسوء قصد ولكون هذه المذاهب لا تمت لواقع الأمة بأي صلة أو تخدم تطلعاتها. فقد أضعفت تلك المذاهب قدرة المفكرين وصرفت نشاطهم عن التوجه المستقل، وحالت دون الإبداع.

لقد مارس المروجون لتلك المذاهب آنذاك أسلوب التسلط والقسرية في احتواء الأنصار وفي نشر تلك الأفكار، إذ يقومون بإحباط و مصادرة أي محاولة للنقد والتصحيح، ويعتمدون في ذلك أسلوب الاتهامات التي لاتمس إنتاج المبدع ومناقشته بقدر ماتنال من ذاته.

إن تلك الشعارات والمبادئ الدخيلة لم تخرج بتوجه مثمر. لغربتها وغموض أهدافها، ولأنها لم تنهج أسلوب التطبيق العملي السليم وتتكئ على الواقعية.

لقد نودي لشعارات قومية مثلاً، وتم التنظير والترويج لها دون وقفة تأمل ومحاسبة، ومراجعة للهدف، ومحاولة للتحوير وفق الظروف والإمكانات والمطالب، فكانت تلك الشعارات غرساً بدون ثمر[1]، كما تبع أو تزامن مع ذلك

---

(١) الاعتراض والانتقاد ليس على مبدأ الوحدة والتكامل الذين يقوم على أساسهما فكرة وهدف الكتاب، وإنما على الأسلوب الذي تم نهجه، والذي ولّد الصراع، والتزم بالتنظير، وأهمل التطبيق العملي الواقعي، واستبعد استثناء بعض الخصوصيات.

طرح المنهج الاشتراكي والماركسي، وتم التنظير لذلك المنهج، وإقحامه في ميادين الفكر والاقتصاد، مارس المروجون لهذا المنهج أسلوب الإخضاع قبل الإقناع.

والغريب في الأمر. أنه بعد سقوط النظام الشيوعي عملياً وعلى المستوى العالمي - بعد انهيار الاتحاد السوفيتي - نجد كبار المناصرين له في عالمنا العربي يصرون على ضرورة استمرار الالتزام به، وعدم التخلي عنه، وتحميل أسباب فشله لأسلوب التطبيق المتبع في الاتحاد السوفيتي، وكأن هذا النظام لم تتح له الفرصة قرابة نصف قرن من الزمن!!

هذا حال الفكرعلى مستوى الطبقة المثقفة.

أما حال الناشئة، والذين هم أمل الأمة، وعماد المستقبل، والذين من المفترض أن يقدم لهم الفكر الراسخ المتزن. البعيد عن أي لبس أو اختلاف، عندما نتفحص مستوى هذا الفكر المقدم لهم. ماذا سنجد؟

سنجد أن من أهم الملاحظات التي تكتنف بعض مكوناته. الازدواجية في العرض، والتنافر والاختلاف في الرؤى والأحكام.

ولنأخذ على ذلك مثلاً.

عندما يطلع الطفل المسلم على مجد أجداده، والذي يمثل خلاصة التجارب والدروس التي يجب تعميقها في عقليته، وفي مجال العلوم الطبيعية والتطبيقية

مثلاً، والتي تعتبر من المجالات المهمة الواجب الاهتمام بها في عصرنا الراهن، والذي لايمكن للأمة أن تنهض وتتقدم بدون المشاركة في تطويرأسسها ومستجداتها.

عندما يتأمل الناشئ سجل هذه العلوم. سيجد قائمة متراصة بأسماء بعض العلماء من رجال حضارته العربية المجيدة، الذين لهم سبق الابتكار في بعض المجالات العلمية والتطبيقية، في فروع الطب. والصيدلة. والكيمياء. والرياضيات. وغيرها من العلوم التطبيقية الأخرى.

ثم ما إن يقفل صفحات ذلك الفصل من التراث وينتقل إلى كتاب آخر، حتى يجد أن أولئك الأشخاص الذين تم تمجيدهم واحتلوا إعجاباً مسبقاً في مخيلته ـ من خلال إضفاء سمة الأسبقية في الابتكار والتحوير والتحقيق، والتطوير ـ قد اتهموا بمعتقداتهم، واستثنيت أسماؤهم من قائمة علماء الأمة.

إننا هنا لسنا بصدد الحكم على معتقداتهم ومذاهبهم، أو تبرئتهم واتهامهم، فذلك له أهله المختصون بأصول هذا العلم وملابساته.

لكننا أمام قضية يحتاج الأمر الوقوف عندها، ومناقشتها. من خلال إعادة صياغة العرض

لأن هذ العرض المزدوج سيؤثر على مبدأ الانتماء لدى الناشئة، والذي تحرص التربية المعاصرة على الاهتمام به وترسيخه ضمن أهدافها الأساسية. إن

الازدواجية في دراسة وتحليل الشخصية، وتعارض الحكم في تقديمها ميكروب ضار يمخر في هيكل ا لتراث، ويحرض الجيل بعد استقلاليته، وتبلور فكره على تهميش الموروث الفكري والزهد به، والانصراف إلى البديل المنظم المتناسق في نظره.

فلا بد من دراسة الشخصية. كلاً متكاملا، بسلبياتها وإيجابياتها، إقتداء بالمنهج القرآني الحكيم الذي ينزل الأمور منزلتها وبإسلوب موضوعي. ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما..﴾[1].

ج ـ طبيعة النظام التعليمي.

يمثل التعليم بمختلف مستوياته. البوابة الرئيسية لميدان التطور في كافة المجالات، كما أنه المعيارالصائب في تحديد المستوى الحضاري للأمة، والعلاج الناجع لقضاياها ومتطلباتها.

فالأمة التي تحس بخلل وتقهقر في مسارها الحضاري.ستجد أن أبرز أسباب ذلك مرتبط بطبيعة نظامها التعليمي المعتمد في مدارسها.

والأمة التي ترسم لنموها وتقدمها المسار وتحرص على إصلاح وضعها القائم. لابد أن تكون انطلاقتها من قاعة الدرس، ومن خطة النشاط المنهجي.

---

(١) سورة البقرة. الآية ٢١٩

obeikandi.com

فلا عجب أن ينسب لقطاع التعليم في كل من المانيا واليابان فضل الإنجاز والريادة المتحقق لهما، ولا عجب أن يصدر عن الولايات المتحدة الأمريكية ـ مع ما تتبوءه من مكانة في الريادة الدولية ـ وثيقة رسمية يتبناها رئيس الدولة شخصياً لمواجهة القرن الواحد والعشرين، وتجعل تلك الوثيقة من التعليم نقطة الانطلاق إلى تحقيق ذلك[1].

ذلك أن المدرسة هي مصنع الكوادر المبدعة والطاقات المنتجة، والناشئة المنتسبون اليها والمستفيدون من خدماتها هم أداة البناء المستقبلي.

إن العملية التعليمية ترتكز على محاور عدة وتتأثربها، ـ فإذا استثنينا الطالب الذي هو صلب العملية التعليمية والمستهدف فيها ـ فإن أهم المحاور الأخرى الرئيسية هي:

أ ـ المعلم

ب ـ الخطة والمنهج.

ج ـ البيئة الخارجية.

---

(١) للوقوف على كامل بنود الوثيقة. يراجع كتاب آليات التخطيط التامل وثيقة تعليمية من الولايات المتحدة الأمريكية ـ ترجمة بدر الدين نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج.

إن نظرة فاحصة لهذه العناصر الثلاثة، ومعرفة واقع تعامل المدرسة العربية معها، و مدى حجمها وتأثيرها في عملية التعليم عامة تظهر لنا صورة التعليم في عالمنا العربي، ومدى حجم جوانب النقص والخلل اللذين يكتنفانه.

أ ـ المعلم: من خلال الرصد والمتابعة لعطاء ومستوى المعلم في المدرسة العربية، خاصة في المرحلة الأساسية ـ التعليم الإبتدائي ـ نلاحظ في الغالب أنه يفتقر للقوة والتأثير، ذلك أن عملية انتقاء واختيار المعلم لتلك المرحلة لاتخضع للمقاييس والضوابط المعتبرة في هذ الأمر بحيث لاتجيز القبول إلا لمن تتوفر فيه المؤهلات والسمات التربوية المخوله لذلك العمل.

نتج عن هذا بطبيعة الحال تخرج فئات من الطلاب ذوي مستويات علمية متدنيه وخبرات معرفية محدودة، كان لذلك أثره على عطائهم وإنتاجهم حتى في دراساتهم العالية وفي حياتهم العملية بعد التخرج بمختلف المجالات التي انخرطوا بها، وبالتالي انعكس ذلك على مستوى الأمة التي هي نتاج الأفراد وإبداعهم.

قد يكون انخراط المتقدم لوظيفة التدريس ـ غير المؤهل تربوياً وعلمياً لتلك المهنة، بل وغير متحمس لها أصلاً ـ من أجل الكادر الوظيفي المتميز في بعض الدول العربية والمتمثل في الحوافز والمكافآت المالية، أو لإمكانية تحقيق عائد مالي يكتسب من تلك الوظيفة خارج

وقت العمل الرسمي والذي يتمثل في الدروس الخاصة، المحظور تنفيذها نظاما من قبل الجهات المشرفة على التعليم.

ولعل أحد أسباب إغفال التمسك بالشروط والمواصفات التربوية أثناء القبول بالكليات التربوية وعدم خضوع المتقدم لتلك الوظيفة للشروط وتجاهل تلك المواصفات وقت التوظيف، التوسع الأفقي الملحوظ في قاعدة التعليم، والمتمثل في حجم المدارس المحدثة كل عام في بعض الأقطار والذي يتطلب أعداداً من المعلمين بمختلف التخصصات، مما يقتضي حشد أكبر عدد ممكن من المدرسين لسد الاحتياج الضاغط، بصرف النظر عن مستوياتهم وتميزهم، أو اللجوء لعملية التعاقد الخارجي لتغطية الاحتياج وسد العجز والذي يستحيل معه تحقيق عملية الانتقاء بصورة دقيقة.

إن المعلم الذي ينخرط في مهنة التدريس ويمارسها من أجل خصائصها الوظيفية فقط دون اعتبار لمسئولياتها المعتبرة في العرف التربوي. ويرا ها بعد الانخراط في العمل مجرد وظيفة تستكمل حدودها وواجباتها بتغطية زمن الدرس دون اهتمام وقدرة على تنفيذ أسس الدرس النموذجي لن يؤثر عطاؤه في عقلية الناشئ الذي يتولى تعليمه، أو يعمل على توسيع مدارك الطالب وتنمية مهاراته، واستثارة مكامن الإبداع لديه.

وتلك للأسف حالة ومستوى بعض المعلمين في التعليم الأساسي في معظم المدارس العربية تتطلب دراسة جادة للوقوف على الأسباب التي أدت إلى ذلك، والخروج بنتائج وحلول لتلك القضية.

الخطة والمنهج: الراصد لطبيعة التعليم في عالمنا العربي سيجد أن هيكله العام يحتاج لإعادة نظر وصياغة حديثة تتواءم مع تيارات التجديد ومتغيرات العصر التي شملت مختلف مناحي الحياة.

فالطالب في المدرسة العربية يشعر بفجوة واسعة بين كتابه المدرسي الذي بين يديه وبين واقعه اليومي المعاش الذي يمثل البيئة الخارجية المحيطة به، والذي هو جزء من عالمنا الشامل المتسم بالمتغيرات المتسارعة على كافة الأصعدة.

إن المناهج والمقررات المدرسية في المدرسة العربية ـ التي يفترض فيها أن تنمي في المتلقي كافة المهارات، وتعده للحياة العامة أثناء وبعد التخرج من أجل تحقيق مطالب أمته ـ غير قادرة على تنفيذ رسالتها المأمولة منها بصورة كمالية.

فالتعليم في المدرسة العربية ـ مع تفاوت طفيف في المستوى بين أقطاره ـ يعتمد على السرد المباشر والاستظهار، وتجرده من الحوار، وضعف التغذية الراجعة بين المرسل والمتلقي، وغياب منهج الابداع والتفاعل مع الفكرة المطروحة.

فالمبدأ والغاية في التعليم القائم. هو الإلمام بالأفكار المطروحة المجردة دون تفاعل مع مضامينها وتقصّ لغاياتها والتعمق في مفاهيمها، وانتفاء مجال التفكير المستقل من جانب الطفل.

البيئة الخارجية: تشمل البيئة الخارجية المؤثرة على التعليم نماذج ثلاثة هي:

أ ـ المنزل.

ب ـ المجتمع المفتوح.

جـ ـ وسائل الإعلام.

كل هذه النماذج لها تأثيرها في بناء شخصية الناشئ، يفترض التكامل بينها وبين رسالة المدرسة النظامية.

فمتى حدث الترابط والاتساق بين هذه النماذج المذكورة وبين العملية التعليمية تحقق العائد المأمول من التعليم.

إن نظرة تقييم لعلاقة تلك النماذج بالمدرسة في الوطن العربي. تظهر لنا مدى التنافر وعدم التكامل بينها، فالانفصال والاختلاف في مستوى العرض والأداء بل وفي التوجه أحياناً واضح للراصد.

فالمنزل: الذي عرف في اليابان مثلاً بمساندة المدرسة والإيمان برسالتها. يربط الأم ربة البيت بقاعة الدرس كمساندة وتأكد من استيعاب إبنها؟.

يختلف عن المنزل العربي الذي قد لايعرف ولي الأمر حتى الطريق إلى مدرسة ابنه فضلاً عن تحديد الصف والمستوى الذي وصل إليه.

لعل أبرز أسباب ذلك: المستوى الثقافي والحصيلة العلمية للأسرة، فالأمية قد تصل نسبتها في العالم العربي لمعدل ٦٠٪ ثم نظرة الأسرة والمجتمع للتعليم، وتحديد الهدف منه. والذي غالباً ما يقتصر على الحصول على المؤهل الذي يؤمن العمل الوظيفي، الذي يوفر الدخل المادي الثابت بعد التخرج، أيضا تلعب الحالة الاقتصادية للأسرة دورها في النظر لأهمية التعليم، فالأب في أغلب الأقطار العربية يدفع بابنه للحياة العملية قبل استكمال مشواره وقبل صلابة عظمه للعمل في الحقل الزراعي، أو في المعمل الصناعي، أو في الخدمة داخل المحلات التجارية، مما أوجد جيلاً من العمالة بمرحلة الطفولة مما ينافي مبدأ حقوق الطفل الدولية[1] ويرفع نسبة الأمية، ويقلل من أهمية رسالة المدرسة.

---

(١) ينص المبدأ التاسع. من إعلان حقوق الطفل على أنه (يجب ضمان الوقاية للطفل من كافة ضروب الإهمال والقسوة والاستغلال. وينبغي أيضا ألا يكون معرضاًللاتجار به بأية وسيلة من الوسائل.
ومن الواجب ألاّ يبدأ استخدام الطفل قبل بلوغه سناً مناسبة. كما يجب ألاّ يسمح له بأي حال من الأحوال أن يتولى حرفة أوعملاً قد يضر بصحته. أو يعرقل وسائل تعليمه أو يعترض طرق نموه من الناحية البدنية،أو الخلقية. أوالعقلية). جان شازال حقوق الطفل سلسله زدني علما ترجمة ميشال أبي فاضل عدد ١٦٩ ص ١٦

والمجتمع المفتوح: يمثل الصورة المكبرة للأسرة، سلطته وتأثيره على الناشئ أكبرمن دور المنزل، إنه نتيجة لارتفاع مستوى الأمية، وهبوط مستوى الدخل. الذي سجل في بعض الأقطار العربية معدلات منخفضة (أقل من ٤٠ دولار في العام)[١] وقلة الوعي بأهمية التعليم وغياب الفلسفة المرسومة له بين فئات المجتمع. ظهرت بعض العادات والتوجهات التي أثرت على طموح الناشئة، وباعدت بينهم وبين بعض التخصصات في قطاعات التعليم المختلفة.خاصة قطاع التعليم الفني والمهني.

فالطلاب لا يفضلون الالتحاق بتلك التخصصات إلا في حالة تعذر قبولهم في التخصصات الأخري التي يطمحون اليها، وذلك بسبب نظرة المجتمع لتلك الحرف كما أن الطرح الثقافي الجاد لا يجد رواجاً وقبولاً في أوساط مجتمع غالبيته لا يقرأون أو يرغبون القراءة، ولاينتمون للثقافة.

والمدرسة بإمكاناتها المحدودة، وقضايا المجتمع المتشعبة لا تستطيع الانفتاح والتأثير، وبالتالي تبقى وظيفتها محدودة ودورها ضعيفا.

---

(١) تقارير مجلة شئون عربية عدد ٦٦ مرجع سابق ص ١٤٢

أما وسائل الاتصال: فهي متشعبة ومتطورة، ومشوقة. لذا تحظى بجمهور عريض من المنتفعين بها، في قائمة أولئك جيل الناشئة.

إن عصرنا الراهن يحمل لقب عصر الاتصالات لماتلعبه وسائل الاتصال من دور في تقريب للمسافات، والسرعة المتناهية في نقل للأحداث والأنباء، واستقطاب للجمهور، وتأثيرها في المتلقي يحمل جانبي السلب والإيجاب.

ويتأكد الوجه الأول من الصورة ويتعاظم أثره لدى المجتمعات التي لا تساهم في صناعة المادة الإعلامية صناعة مثمرة وعلى المستوى الدولي، وينحصر دورها في جانب الاستهلاك.

إن توظيف المادة الإعلامية في برامج التعليم ضرورة قائمة. فلابد أن يوكل اليها تنفيذ وخدمة جانب من أهداف العملية التعليمية المعتمدة، والذي قد يشق على المناهج المدرسية القائمة تنفيذها بإسلوب عملي، ولكن أي مادة يمكنها تحقيق ذلك؟

إن المادة الإعلامية التي تقدم للناشئة عبر وسائل الإعلام في الوطن العربي .إما مستوردة جاهزة من مجتمعات خارجية، بعيدة عن وصف و معالجة قضاياه وهمومه وتطلعاته، أوتلتزم عند الإنتاج بذلك الخط رغم صناعتها في داخل مراكز الإنتاج في الأقطار العربية، وجزء من الإنتاج وإن حمل الهوية المحلية في مادته فإن

صياغته .تفتقر للإبداع والإخراج الفني الذي يغري بالمتابعة والتوظيف. نتيجة عوامل متعددة، في قائمة ذلك الإمكانات بمختلف أنماطها.

وبذا نجد أن غالبية الإنتاج المتوفر لايخدم تطلعات الأمة، وفي قائمة ذلك حاجة التعليم ومناهجه، مما يؤدي إلى الانفصال بين رسالة المدرسة والمادة الإعلامية.

على أنه مما ينبغي الإشادة به أن لبعض الأقطار العربية جهوداً مشجعة رغم محدوديتها في مجال الإنتاج الإعلامي، أثمرت تلك الجهود عن بعض البرامج التثقيفية الموجهة للناشئة خاصة، حيث أسهمت جهود مؤسسة الإنتاج ا لبرامجي المشترك لدول الخليج العربي مثلاً في تحقيق بعض البرامج التربوية والإرشادية التي تتفق في بعض محتواها وأهدافها مع بعض الوحدات الدراسية في المناهج الأساسية للمدرسة العربية وأصبحت مكملة لها.

د ـ ضعف العائد من مراكز البحوث.

لا يشك أحد في أهمية البحوث العلمية، وأثرها في نهضة الأمم، وفي رسم الخطط المستقبلية لها، وفي تحديد وترسيخ معالم هويتها، وإبراز حجم قوتها.

فالعلم والاشتغال به. هو الذي أعاد صياغة الحياة والمجتمع في اليابان من دولة مهزومة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية إلى دولة مصنعة تفرض إنتاج مصانعها في محفل السوق العالمي.

والبحث العلمي المقصود : هو (ذلك النشاط العلمي المنظم الذي يسعى إلى كشف الحقائق اعتماداً على مناهج موضوعية محققة من أجل معرفة الارتباط بين هذه الحقائق، ثم استخلاص المبادئ العامة والقوانين التفسيرية)[1].

يقوم بهذا الجهد فرد مختص أو فريق عمل للحصول على :

- ابتكار فروض ونظريات لم تكن معروفة من قبل، أوحل رموز بعض القوانين العلمية والتطبيق العملي والمعملي لها.
- الوقوف على المشكلات والقضايا المرتبطة بحياة المجتمع بكافة شؤونه الصحية، والبيئية، والاقتصادية، والفكرية، وغيرها للوصول لنتائج عملية من خلال دراسة الأسباب والظروف

---

(١) د / إنطوان زحلان العلم والسياسة العامة في الوطن العربي - مركز دراسات الوحدة العربية - ط٢ ١٩٨٢ ص ٤٥

- الرحلات العلمية بجميع مجالاتها وأغراضها[1].

(إن في العالم العربي عدد اً من مراكز البحث العلمي. مستقلة أو تابعة لجامعات أو جهات رسمية عليا من وزارات وغيرها، ففي عام ١٩٨٥ كان في الوطن العربي (٢٨٨) معهداً وإدارة للأبحاث، يتبع ٥٧٪ منها الوزارات المختلفة ١٤٪ يتبع الجامعات ١٢٪ تابع للمجالس القومية للبحوث. بينما يتبع الباقي أجهزة حكومية؛ رئاسة الجمهورية. أو مجلس الوزراء. أو وزارة التعليم العالي)[2].

لكن هذه المراكز والمعاهد والإدارات المختصة بشؤون البحث العلمي، وخاصة مايرتبط بمجال البحوث التربوية. لا تفرز الاحتياج المطلوب من البحوث التي تعالج قضايا التربية والتعليم وتطرح الجديد، رغم الحاجة الماسة لذلك، خاصة في هذا العصر الذي يتطلب متابعة المتغيرات وتوظيف مستجدات كافة أنماط الصناعات الثقافية، وإضافة أهداف أخرى متجددة تتواءم مع حاجات الأمة.

ومرجع هذا النقص أسباب متعددة: منها مايتصل بالباحث واسلوبه وأدوات بحثه، والغاية المحددة لطرح البحث؛ فالباحث قد يعتمد في دراسته وخطته

---

(١) للمؤلف بحث بعنوان .. بعض معوقات البحث العلمي في العالم العربي .. مقدم للقاء السنوي الرابع للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن) كلية التربية. جامعة اللك سعود. الرياض ١٦-١٩/١١/١٤١٢ .

(٢) د/ أنطونيوس كرم العرب أمام تحديات التكنولوجيا سلسلة عالم المعرفة الكويتية عدد ٥٩ الكويت شهر صفر ١٤٠٣ ص ١٥.

لمعالجة مشكلة وطنية قائمة مثلاً منهجاً مقتبساً من دراسات وخطط غربية، صممت لخدمة قضايا لاتنتمي لطبيعة المجتمع العربي.

إن مجال التربية والتعليم ـ مثلاً ـ مرتبط بالدراسات الإنسانية التي تصطبغ بلون المجتمع المنفذ لها، وهي بخلاف البحوث المعملية التطبيقية التي تعتبر محايدة في النتائج.

ولعل لجوء الباحث لذلك الاعتماد والتظمين أن تأهيله الأكاديمي قد تم في مؤسسات علمية غربية وتدرب على معالجة قضايا لا تمت لواقعه بأي صلة. فلم يقف على ظروف أمته وطبيعة وحجم قضاياها.

كما قد يكون الدافع لتنفيذ البحث مجرد الحصول على درجة علمية ـ وهذا هو الغالب ـ ينتهي مسارجهده وخلاصة آرائه بحفظها في إرشيف المركز بعد منحه الدرجة الأكاديمية التي يسعى لها.

ومن ذلك مايتعلق بالإمكانات المتاحة للباحثين. وفي قائمة ذلك الامكانات المادية التي تذلل العقبات يقول د/ بروس (إن أي دولة لاتنفق ٣٪ من دخلها القومي على البحث والتطوير لابد وأنها ستتخلف.. وقال إن الولايات المتحدة الأمريكية وهي أغنى دولة في العالم تنفق ٢,٨٪ على الأبحاث. وهو مبلغ كبير بالنسبة لـ ٣٪ في بلد آخر، وفي الوقت نفسه تنفق اليابان أكثر من ذلك الحد

الأدنى وكذا تفعل المانيا وفرنسا، وهي من الدول التي سبقت بريطانيا بخطوات واسعة)[1].

ومن الإمكانات التي يتطلبها البحث. تفريغ الباحث، وحجم الأجهزة المستخدمة أثناء التطبيق، ومرونة صيانتها، وتطويرها من خلال تزويدها بالمستجدات، وتوفر الكوادر الفنية الموظفة لمساندة الباحث عند إجراء البحث.

كما يلحق بالعقبات التي تعترض البحث العلمي .ضعف الصلة بين مراكز البحث وصناعة القرار، ودرجة التحفظ التي تخضع لها بعض مجالات البحث، والبيروقراطية التي تكتنف مسار البحث من لحظة الخطة والإعداد وحتى نهاية مرحلة التطبيق.

---

(١) فاروق لقمان عالم بلا حدود مرجع سابق ص ٣٥٤

العالم العربي وعصر المعلومات.

يتردد أخيراً في الأوساط العلمية والثقافية مصطلح ولفظ "عصر المعلوماتية" للتعبير عن أبرز سمات عصرنا الراهن. لما تشكله المعلومات المتجددة واستثمارها في هذا الوقت من قوة وتأثير.

لقد رصد لحجم التعامل الدولي في مجال المعلومات عام ١٩٩٠ مبلغ ٢٢٥ مليار دولار[١] هذا الرقم العالي له دلالته، إذ يصور أهمية ومكانة المعلومات في وقتنا الراهن والمستقبلي.

إن الصناعات الثقيلة التي بدأ استثمارها منذ بداية النهضة الصناعية الثانية. والتي تمثل أحد ركائز النهضة والتطور في عالمنا. بدأت تفقد مكانتها بالتدريج، وأصبحت تلك الصناعات الجديدة المعتمدة على المعلومات أكثر من اعتمادها على مواد الخام تنافس إن لم تتفوق على الصناعات الثقيلة المعتمدة في بقائها وتطورها على مواد الخام ومصادر الطاقة والتي تحتاج لجهد وإمكانات من أجل توفيرها من مراكزها ومناجمها إلى المصانع، يقول الدكتور علي نصار: (تنمو صناعة المعلومات نمواً سريعاً في الاقتصادات المتقدمة خصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية .وقد قدر أن حصة قطاع المعلوميات في الولايات المتحدة الأمريكية.

---

(١) الفين توفلر - حضارة الموجة الثالثة - ترجمة عصام الشيخ قاسم الدار الجماهيرية للنشر والإعلان ط١، ١٩٩٠.

وصلت إلى ٥٢ ٪ من الناتج القومي عام ١٩٨٠، ومن المتوقع أن تصل إلى ٨٠ ٪ عام ١٩٩٠. كما بلغ ماحققته الشركات العاملةفي مجال الحاسبات والنظم ووسائل الإتصال حوالي ٤٣٪ من إجمالي أرباح الشركات الأمريكية بحسب بيان ١٩٨٠ ويتوقع أن يصل حجم مبيعاتها ٢٥٠ مليار دولار عام ١٩٩٠)[١].

وإذا انتقلنا إلى مجالات الحياة الأخرى من طب وزراعة واتصالات وغيرها من مجالات الحياة .وجدنا تأثير موجة المعلومات على وظائفها. لدرجة أن متابعة المستجدات الطارئة عليها أصبح يشكل جهدا شاقاً لا يمكن تحقيقه بصورة وافية.

يصور أحد المفكرين العرب الأمر بقوله: (إنه بالرغم من ضيق التخصص صار من الصعب إن لم يكن من المستحيل على العالم - بكسراللام - أو التكنولوجي أن يتابع قراءة كل مايستجد في ميدان تخصصه الضيق - ومثل هذا الأمر يمثل مشكلة حقيقية)[٢]

---

(١) يراجع كتاب التنمية العربية - مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي - مجموعة مؤلفين ص ٢٩٦ مع الإفادة بأن الكتاب طبع عام ١٩٨٩، كما ورد اصطلاح المعلوميات هكذا في المرجع.

(٢) زهير الكرمي - العلم ومشكلات الإنسان المعاصر سلسلة كتاب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت الرقم ٥، ط ٢، ص ٣٢١.

- فما درجة تفاعل عالمنا العربي مع تيار المعلومات المتجدد؟

- وما حجم إنتاجنا من تلك المعلومات؟

يصور أحد الكتاب العرب درجة التعامل بقوله: (إنها متأخرة. وغير منظمة، والأسوأ من ذلك أن ليس لها بين اهتماماتنا أولوية، فهي آخر مانهتم به بعد أن نتحدث عن السياسة والاجتماع والبيئة والاقتصاد، وقد نتحدث عن المعرفة وقد نتجاهلها، ليس لأنها غير ذات بال بل لجهلنا العظيم بأهميتها)[1].

إن تلك الالتفاتة تمثل سبباً قوياً وفعّالاً لتخلف الأمة العربية وقصورمشاركتها الدولية، فإهمال التفاعل مع موجة المعلومات. والاقتصار على الاستهلاك الشره. دون مشاركة في الإنتاج يمثل خللاً وضعفاً في الحاضر المعاش والمستقبل المنتظر.

إن أخوف مايخاف على العالم العربي أن يدخل لجة المعلومات كرهاً لابطوعه واختياره، بعد فترة إهمال وجهل بتأثيرها، لحظتها تحدث ـ لا سمح الله ـ صدمة عارمة لاتحمد عقباها على الأفراد والمجتمع وهي ما أطلق عليه (ألفين توفلر) كاتب المستقبليات الأمريكي بصدمة المستقبل، ذلك أن ثورة المعلومات التي تجوب الشارع والمتجر، ومركز الثقافة والترفيه، تتلون بألوان صناعات ثقافية، وأخبار عن أحداث، ومعلومات مصاغة، وصناعات تقنية مستهلكة، موجهة للطفل والناشئ، بعيدة هي عن الحياد.

---

(١) د / محمد الرميحي المعلوماتية العربية مجلة العربي عدد [٤١٤] ذو القعدة ١٤١٣. حديث الشهر

تمثل بجميعها نمطا من أنماط الهيمنة الاقتصادية، والاستعمار الخفي الجديد، تأسر عقلية المستهلك. وتسارع في رسم الفواصل والمسافات بينه وبين المنتج.

(إنه لو أمعنا النظر لوجدنا أنه لا التقنيون الأجانب براغبين حقاً في إعطاء أسرار التقنية التي هي سرّ قوتهم. والتي تعبوا وتحملوا التكاليف الباهظة في تطويرها وا متلاكها، ولا العرب بقادرين على الاستحواذ عليها بالشكل الحاسم والسريع الذي تتطلبه ظروفهم وأوضاعهم، والدور الذي يتحتم عليهم أن يقوموا به، ويبقى التصنيع العربي يدور في حلقة مفرغة.... حلقة الخواء التكنولوجي، ويعاني من عجز الخروج)[1].

إن الكتابات التي تناولت وضع العرب وتعاملهم مع تقنية المعلومات والصناعات التقنية عامة. من ثورة الاتصالات، وغيرها تتفاوت في العرض والتقييم. بين تهويل المسافة بين العرب والجهات المهيمنة على الإنتاج. وبين تقريب الفجوة وإمكانية المساهمة.

ويبقى أمر واحد، يجب الاقتناع والالتزام به، أن الجهد شاق والمشوار طويل ولكن لا شيء يتعاظم مع العزيمة ولا ضعف مع الإصرار، والبداية تكون من حيث انتهى الآخرون. والجهد المتواضع يمثل لبنة في الأساس.

فما الصياغة التي يمكن الالتزام بها لتقودنا إلى النجاح؟

---

(١) د/ بهاء حسين عزي العالم إلى أين، والعرب إلى أين. الكتاب السعودي دار تهامة للنشر وللتوزيع. ط ١، ص ٤٤.